استراتيجية التناص التاريخي في الخطاب السردي لدى كمال قرور

رواية سيد الخراب أنموذجا

الدكتور: أحسن دواس

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص

يعد توظيف التاريخ والتراث في النصوص السردية العربية ملمحا حداثيا وقد زخرت عديد الروايات بهذه الرموز سواء أكانت مستنسخات نصية أم مقتبسات أم عبارات مسكوكة أم هوامش نصية أو استشهادات أم حواشي نصية أم تضمينات و إحالات أم نصوص موازية أم غيرها من الآليات المختلفة ، وتتناول هذه الدراسة تجليات هذه التناصات التاريخية في رواية: سيد الخراب" للروائي الجزائري كمال قرور التي زخرت بعديد الرموز التاريخية والتراثية، والنصوص المولدة العربية والغربية، على غرار مقدمة ابن خلدون والف ليلة وليلة، وجمهورية أفلاطون، والصخب والعنف لوليم فولكنر، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التناص، التاريخ، الخطاب السردي، الرواية

Abstract

The use of history and heritage in Arabic narrative texts is a modern feature, and many novels abound with these symbols, whether they are text reproductions or quotations or minted phrases or text margins or citations or text footnotes or inclusions and references or parallel texts or other different mechanisms, and this study deals with the manifestations of these historical intertextualities in the novel: "Sayed al-Kharab " by the Algerian novelist Kamal Krour, which abounded with many historical and heritage symbols, and Arabic and Western texts generated, such as" the introduction" of Ibn Khaldoun and thousand and one nights, and "the Republic" of Plato, and "the sound and the fury" of William Faulkner and so on.

Key Words : Intertextuality, history, Narrative discourse, novel

استهلال نظري

أفرزت الحداثة النقدية جملة من المصطلحات التي تداولها الدرس النقدي بالفحص والتمحيص ، فاختلف الدارسون في تشريحها أحيانا واتفقوا أحيانا أخرى من خلال مقاربات لهذه القضايا الحداثية النقدية، فازدهر الخطاب النقدي العربي وهو يحاول رصد هذه المصطلحات ويساير التقدم الميغافلكي للمدارس النقدية الغربية بانتظار تبلور حداثة نقدية عربية تنظيرية. ولعل من أكثر هذه المصطلحات تداولا من لدن الدارسين مصطلح التناص Intertextualité والذي يعد من أهم الآليات النقدية الجديدة والأساسية في دراسة النص الأدبي؛ خطابا شعريا كان أو سرديا، هذا النص الذي تصفه عرابة هذا المصطلح البلغارية جوليا كريستيفا بأنه لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، و بقايا نصوص تم امتصاصها و تحويلها من نصوص أخرى"[1]؛ وتعددت الاشتقاقات وتفرعت من التناص حتى عده سعيد يقطين: "بؤرة تتولد عنها المصطلحات التي تعددت السوابق فيها واللواحق و التي تدور حول النص نذكرها على سبيل المثال بالفرنسية Paratexte, Autotexte, Intertexte, Phonotexte, Hypertexte, Metatexte"[2].

وهذا التعدد المصطلحي ادى على تعدد التعريفات فنجد مثلا القاموس الفرنسي لاروس الغني عن التعريف (Larousse) يعرف التناص على انه :" مجموعة العلاقات التي تربط نصا أدبيا بصفة خاصة، بنص آخر أو نصوص أخرى في مستوى إبداعه (من خلال الاقتباس، الانتحال، التلميح، المعارضة... إلخ... وفي مستوى قراءته و فهمه بفضل الربط الذي يقوم به القارئ"3 أما الفرنسي رولان بارت فيعرف النص بأنه "نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله."4 وحسب بارت دائما فإن كل نص هو تناص 5

وقد عرف العرب القدامى الإنسانية محتوى قة فالتناص ما هو إلا تخريج جديد لما أطلقوا عليه في النقد القديم بالاقتباس، المُعارَضات الشّعريّة، السرقات الأدبية. .

ورقعة عمل التناص رقعة شاسعة لا حدود لخريطتها، ذلك أنها تستعير من فضاءات الحضارة الإنسانية فضاءاتها، وتتخذ المجرة الكونية فكرا وعلما وفنا وإبداعا ساحة لها. فكل ما أنتجته الحضارة الإنسانية محتوى فيها ولها.

وللتناص أشكال عديدة كالتناص الوثائقي والتناص الأدبي والتناص التراثي والشعبي والتناص الأسطوري والتناص الديني والتناص التاريخي وغيرها من الأشكال، وما يهمنا هنا هو التناص التاريخي الذي قد يتمظهر في إشكال أخرى كالتناص التراثي والشعبي الشعبي الذي يمكن عده جزء من التاريخ

من الرواية التاريخية إلى التناص التاريخي

ازدهر التأليف فيما يسمى بالرواية التاريخية في النصف الثاني من القرن التاسع مع بداية جورجي زيدان بتأليف تاريخياته من جهة وتعريب بعض الروايات التاريخية الغربية من جهة أخرى ومن هذه الأعمال المعربة تعريبان لرواية "الكونت دي مونت كريستو" للكاتب الفرنسي ألكسندر دوما ؛ الأولى لسليم صعب في بيروت سنة 1836 والثانية لبشارة شدبد في القاهرة سنة 1871.[6] وتوالت فيما بعد عدة ترجمات لأعمال روائية رائعة لكوكبة من الأسماء الغربية اللامعة في كتابة الرواية التاريخية أمثال فولتير وشاتوبريون وغيرهما.

لكن الألق الذي عرفته هذه الرواية لم يدم طويلا، فسرعان ما خبا بريق هذا النوع وانحسر ليترك المجال لاستراتيجية جديدة هي توظيف التاريخ والتراث ؛ شخصياته وأحداثه وملابساته ورموزه في النص الروائي ، بشكل يتعدى النظرة التوثيقية التسجيلية للرواية التاريخية، وهذا ما يحيلنا على التناص التاريخي الذي نحن بصدد دراسته في هذه الورقة من خلال رواية سيد الخراب للروائي الجزائري كمال قرور.

وهكذا فالتناص التاريخي بكل محمولاته يعد بالنسبة للكاتب شاعرا كان أو روائيا من أخصب الحقول إلهاما وأغنى المصادر ثروة وأنقى المنابع منهلا . فيلجأ إلى توظيف هذه المحمولات عن طريق الآليات التي تتيحها الممارسة التناصية من مستنسخات نصية أو مقتبسات النصية أو عبارات مسكوكة أو هوامش نصية أو استشهادات أو حواشي نصية أو اقتباسات أو تضمينات أو إحالات أو نصوص موازية أو غيرها من الآليات المختلفة ، هذا التوظيف من شانه أن يضفي على النص قيمة توثيقية وقيمة فنية وحضارية من خلال ذلك الجسر الذي يقيمه هذا التوظيف بين الحاضر والماضي بين الإرث التاريخي المجيد للمجتمع وبين تطلعاته المستقبلية بين كبرياء الماضي وانكسارات الحاضر.

الرواية والراوي

بخط عريض برتقالي اللون على خلفية زرقاء تحاكي غموض البحر وفيروز الموج خط عنوان هذه الرواية «سيد الخراب» الصادرة عن دار «فيسيرا»، ، وهي الرواية الثانية له بعد رواية «التراس.. ملحمة الفارس الذي اختفى» التي نال بها جائزة مالك حداد في الجزائر.

ولأن العنوان بمثابة الطابع البريدي من الرسالة فلنبدأ من هذا العنوان الملفت للانتباه " سيد الخراب" فالسيد عادة وفي المفهوم الحديث، خاصة منه المفهوم الإداري يطلق على كل شخص فيقال السيد فلان بن فلان جمع : أسياد وسادة وسيائد و تتعدى لفظة السيد هذه الدلالة إلى دلالات عديدة ومختلفة فهو ذو السيادة، رئيس: هو سيد قومه وهو لقب سيدنا عيسى عليه السلام عند المسيحيين، وهو عند المسلمين من كان من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم. وهو ألله. وهو الملك. والسيد من الشيء أشرفه. ويضيف قرور للسيد مضافا غريبا قد يتناقض مع معنى السيد الذي يؤول في غالب الأحيان على دلالات ايجابية جميلة بناءة لا هدامة تدعو في روحها للعمار لا الخراب. وقد جاءت الرواية في 173 صفحة من الحجم المتوسط .

أما الروائي كمال قرور فهو ذلك الفارس الجزائري العلمي المغوار البهي .. كم من صهوات امتطى.. لكن تظل صهوة الحرف هي الصهوة المشتهاة، والمبتغى المستحيل أقدمه في هذه البطاقة الفنية الموجزة التي ارتأيت أن أوردها في متن هذه الدراسة تبجيلا لقلمه الجاد وإكراما لحرفه الجميل الملتزم بقضايا شعبه وأحلام وآلام أمته :
كمال قرور من مواليد 1966/11/10 ببني عزيز ولاية سطيف حاصل على شهادة الباكالوريا بثانوية قصاب العلمة 1984

- ✓ حاصل على شهادة الليسانس من معهد الأدب واللغة العربية بجامعة قسنطينة سنة 1989
- ✓ دراسات عليا في الإعلام والاتصال الجزائر 1992
- ✓ عملا صحفيا بمجلة الوحدة 91-93
- ✓ مؤسسة لدار نشر خاصة 1993
- ✓ عضو مؤسس لمهرجان الأغنية السطايفية 1994
- ✓ عضو مؤسس لمهرجان الضحك بالعلمة 1995
- ✓ مؤسسة أسبوعية فنتازيا 1999
- ✓ تفرغ للأعمال الحرة منذ سنة 2000
- ✓ رئيس منتدى المواطنة 2009
- ✓ يساهم في نشر ثقافة المواطنة وتفعيل دور المجتمع المدني في المجتمع الجزائري يسعى لبلورة مشروع ثقافي لجزائر الألفية الثالثة

أعماله

- ✓ التراس: ملحمة الفارس الذي اختفى رواية فازت بجائزة مالك حداد 2007
- ✓ خواطر الحمار النوميدي المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 2007
- ✓ الكتاب الأزرق العقد الحضاري بين الدولة الراعية والمواطن الفعال/2008
- ✓ امرأة في سروال رجل/ قصص قصيرة دار القصبة 2009
- ✓ الشعوب التعيسة في الجمهوريات البئيسة /قصص قصيرة 2009

منذ حديث الكاتب الروسي ميخائيل باختين عما اسماه بتداخل السياقات، هذا التداخل الذي يحيل القارئ والدارس إلى وجود هذه العلائقية الجدلية بين نص سابق ونص لاحق، بين نص قديم وآخر جديد؛ هذه العلائقية وهذا هذا التمازج الشفيف والتشابك الذي ينسجه الروائي بخيوط قزحية الألوان تحاكي شفافية الماء

الزلال وتلامس خيوط الشمس الرفيعة هو في الحقيقة ما يسعى إليه الناص قصد إنشاء نص جديد بدلالات جديدة .

هذا التداخل والتشابك والتمازج والترابط والتقاطع يتجلى من الوهلة الأولى في رواية كمال قرور وفي أول عتبة من عتباتها على اعتبا ران العنوان من أهم عتبات النص حسب فيليب هامون إلى جانب ، الحاشية، المقدمة، المطلع، الذروة ، الافتتاحية، المقدمة، التنبيه، التوطئة، التمهيد، المدخل، الإهداء، الشكر وغيرها من المصطلحات التي عدها النقاد بمثابة نصوص موازية paratextes فالرواية تحمل عنوان "سيد الخراب، ما جاء في جمهورية الخراب للعلامة بن خشد، ولم تذكره كتب التاريخ والسير والجرائد الصفراء "

ومن القراءة الأولى نلحظ أن هذا العنوان يتعالق في روحه وشكله ولونه مع نصوص كثيرة تحيلنا إلى عوالم فلسفية متنوعة ويتشابك مع نصوص أدبية أخرى تسافر بنا عبر فضاءات تاريخية متعددة. وبهذا التنوع والتعدد يأخذنا العنوان . كعتبة أولى . إلى الإبحار مع تمفصلاته هذه كيما نصل من خلاله إلى الحقيقة النصية التي تفضي إليها كل علاماته البارزة وأيقوناته الساطعة وما يزخر به من طاقات دلالية موغلة في العمق وما يطفح به من مخزون لغوي مفتوح على المشارف المتعددة لمنظومة التلقي من استباق وارتجاع، وتوقع ومرجعية وتخمين وتأويل ليعطي العنوان قيمته الحقيقية كموقع من أهم المواقع الإستراتيجية في النص 7

فصل فيما تعالق بين جمهورية كمال قرور وباقي الجمهوريات

يعد الكاتب الإنجليزي توماس مور Thomas More 1478- 1535 أول من استعمل هذه الكلمة وقد صاغ توماس مور كلمة يوتوبيا لتكون اسم علم لجزيرته المثالية من الكلمتين اليونانيتين في Ou بمعنى لا و topos بمعنى مكان في مجموعها « ليس في مكان » ولكنه أسقط حرف O وكتب الكلمة باللاتينية ,وهي نفس اللفظ المستخدم في اللغة الانجليزية Utopia يوتوبيا والذي استخدمه في العربية بعض كبار المترجمين العرب من قبل .8

وظهرت الطبعة الأولى للكتاب بعنوان: LIBELLUS VERE AUREUS" NEC MINUS SALUATARIS QUAM FESTIUUS DE OPTIMO REIP. DEQUE NOVA INSULA UTOPIA" أو كتاب مفيد وممتع حقا عن الحكومة المثلى للدولة والجزيرة الجديدة المسماة يوتوبيا سنة 1616 . وهذا العنوان أيضا يحيلنا إلى عنوان روايتنا سيد الخراب ماجاء في جمهورية الخراب للعلامة ابن خشد،و لم تذكره كتب التاريخ و السير والجرائد الصفراء. و سنشير لاحقا إلى هذا التعالق في هذه العتبة النصية أيضا

واستخدم اللفظ منذ ذلك الحين في كل اللغات الأوروبية ، وفي ترجمته العربية أيضا ، - ترجم الكتاب بنفس العنوان الأصلي يوتوبيا إلى العربية المترجم الدكتور إنجيل بولس سمعان وصدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب في طبعتين الأولى سنة 1984 والثانية سنة 1987. ويوتوبيا تعني مكان مثالي خاصة في قوانين الحكومات والظروف الاجتماعية9 ليعني نموذجا لمجتمع خيالي مثالي يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ، ويتحرر من الشرور

التي تعاني منها البشرية ولا يوجد مجتمع كهذا في بقعة محددة من بقاع الأرض ،بل في أماكن وجزر متخيل ،وفي ذهن الكاتب نفسه وخياله قبل كل شيء."10

وظهرت يوتوبيات كثيرة فيما بعد وتوالت ترسم الحلم الإنساني وتشيد مدينة فاضلة ربما لا توجد إلا في وجدان الشعراء وعقول الفلاسفة ونفوس الحالمين ولكنها تسعى دوما لنسج حلم وردي يحقق للشعوب والمجتمعات وجودا آخر غير الوجود الواقعي المهترئة أوصاله الآسنة أعماقه.

من جمهورية أفلاطون المثالية و « حياة ليكورجوس » لبلوتارك اليوتوبيات الهجائية الساخرة لأرسطوفانيس عند الإغريق إلى اليوتوبيات ذات الطابع الفلسفي الصوفي التي نجدها ممثلة في مدينة القديس أوغسطين De Civitate Dei

إلى مدينة جوفان توماس و كامبانيلا الإيطالي والتي اطلق عليها «مدينة الشمس» ومنها إلى مدينة اخرى تدعى «مدينة المسيحيين» لصاحبها فالنتين أندريا مرورا برواية «أخبار من لا مكان» لوليم موريس والعصر البلوري » ل« و.هـ .هدسون» W.H.Hudson ورواية « الجمهورية الجديدة » و .هـ .ماللوكW.H.Mallock وغيرها من اليوتوبيات والجمهوريات التي يضيق المكان هنا لذكرها 11

غير أنه وبالرغم من أن ماريا لويزا برنيري حاولت في كتابها "المدينة الفاضلة عبر التاريخ" حاولت ان ترصد كل اليوتوبيات عبر العصور؛ ابتداء من العصر القديم ومرورا بعصر النهضة ثم عصر التنوير إلى القرن التاسع عشر واليوتوبيات الحديثة غلا أنها في اعتقادي أغفلت مدينتين فاضلتين من أهم المدن الفاضلة التي عرفها تاريخ الإنسانية ؛ الأولى لفيلسوف سياسي اجتماعي لقب بالمعلم الثاني نسبة للمعلم الأول أرسطو وهو الفيلسوف المسلم أبو نصر محمد الفارابي صاحب كتاب " آراء المدينة الفاضلة" أما الثانية فهي للروائي والشاعر الأمريكي العملاق وليم فولكنر الذي يعد علامة فارقة في الأدب العالمي وأكثر كتاب القرن العشرين شهرة وتأثيرا تأ ، حصل على جائزتي نوبل و بوليتزر عامي 1949 . و 1955 على التوالي ، وقد اطلق عليها فولكنر "يوكناباتوفا" وحاول ان يرسمها في جل أعماله خاصة روايته الصخب والعنف.

وبالرغم من اختلاف عصور هذه الجمهوريات وهذه اليوتوبيات واختلاف مشاربها ومرجعياتها فآنها تتدفق من ينبوع واحد هو المكان المظلم المتعفن .. الواقع المرير وتصب في حقل واحد هو اللا مكان الدافئ المشرق الآمن. و لولا يوتوبيات العصور الأخرى كما يقول أناتول فرانس لظل الناس يعيشون في الكهوف عرايا بؤساء . إن اليوتوبيات هي التي رسمت خطوط المدينة الأولى، ومن الأحلام السخية تأتي الوقائع النافعة .إن اليوتوبيا هي مبدأ كل تقدم ، وهي محاولة بلوغ مستقبل أفضل».

وبالرغم من وجود تناصات كثيرة بين هذه الجمهوريات وبين جمهورية كمال قرور فكلها ترسم جزيرة الاحلام ؛ مكانا يشع ألقا وبهجة ينضح بالعدل والأخوة والمساواة والحياة العزيزة الكريمة، قد يتبادر للذهن

أن كل هؤلاء حالمون ولكنه الحلم الذي فجر الحقيقة دوما والحلم الذي غير الواقع على مر الأزمان، والعالم لا يمكن أن يكون أجمل وأروع دون حلم أو دون

ودون مدن تطرز الحلم أغنية سرمدية تهدد وجدان البشرية وتداعب روحها و «إن خريطة للعالم لا تحتوي على يوتوبيا . كما أعلنها مدوية صارخة أوسكار وايلد . 12 لا تستحق حتى مجرد النظر إليها ، لأنها تُغْفل البلد الوحيد الذي تتوجه سفينة البشرية دائما إليه .وعندما ترسو على شاطئه ،تتلفت في الأفق ،فإذا لمحت بلدا آخر، انطلقت مبحرة إليه .إن التقدم هو تحقيق اليوتوبيات في الواقع». وبالرغم من كل التعالقات الموجودة بين هذه الجمهوريات كما قلت فإني سأحاول أن أركز على التعالق النصي الموجود بين رواية الصخب والعنف لوليم فولكنر ورواية سيد الخراب .

التعالق الذاتي والهاجس المركزي:

إن فكرة الدولة والتأسيس لمجتمع مدني يساير التطور الحاصل على ظهر المعمورة، ويواكب التغييرات التي ما انفكت تلون المجتمع الإنساني بألوانها المختلفة، خاصة في ظل النظام العالمي الجديد وشبح العولمة الذي يفرض الكثير من الرهانات على المجتمعات كافة ويدفعها لتأصيل خصوصياتها الثقافية والحضارية والمحافظة على مقوماتها الدينية واللغوية والفكرية، في الحقيقة فكرة ليست وليدة سيد الخراب وإنما هي فكرة تشكل هاجسا مركزيا - باستعارة مصطلح المنهج الموضوعاتي – للكاتب كمال قرور. وهذا ما يحيلنا للحديث عن تناص لا يقل أهمية عن التناص الخارجي والمتمثل في التناص الداخلي؛ تناص المؤلف مع نصوصه السابقة ففكرة المدينة الفاضلة، الجزيرة اليوتوبية تبلورت ملامحها في جملة من أعمال الكاتب وعلى رأس هذه الأعمال نجد الكتاب الأزرق: العقد الحضاري بين الدولة الراعية والمواطن الفعال، والمنشور سنة 2008 وهو عبارة عن دستور يحاكي كما هو جلي حتى من خلاله عنوانه الكتاب الأخضر لمؤسس الجماهيرية الليبية العظمى القائد معمر القذافي، والذي سجل فيه . على حد تعبيره في تصريح لجريدة الشرق الأوسط فيه . كل الأفكار حول العلاقة بين الدولة والمواطن، بكل حرية ومسؤولية ومن دون خوف من أحد أو مؤسسة" . كما يحيلنا أيضا إلى مجموعة من الأعمال الإبداعية القصصية والتي صدرت قبل سيد الخراب بسنة أي سنة2009 والموسومة بـ "الشعوب التعيسة في الجمهوريات البئيسة"

وإذا كانت الجمهورية تشكل كما أسلفت الهاجس الأكبر في سيد الخراب بتكرار قدر بـ 34 مرة في المتن السردي بصورتها الأصلية وتتكرر 24 مرة بصور مختلفة تعانق المعنى الأصلي عناقا تاما؛ 13 مرة في صورة الأرض و 11 مرة في صورة الوطن. ومن المدهش والملفت للانتباه أيضا أن لفظة "التاريخ" تكررت بمقدار ذكر الجمهورية أي 34 مرة ليكون التاريخ هاجسا آخر ونصا آخر يوازي هذه الملحمة الصاخبة في الجمهورية الصاخبة والتي عشش فيها الخوف ليؤسس الثالوث الأكبر إلى جانب الجمهورية والتاريخ ولعل . أيضا . التكرار الواضح للفظة الخوف وما يشرحها من مترادفات دليل على هذا الذي يسيطر على كمال قرور ويؤرق صفو لياليه ، التكرار الذي

بلغ 41 مرة وبصيغ مختلفة؛ المصدر الخوف 30 مرة الفعل حاف 05 مرات الصفة خائف 3 مرات ، صيغة الجمع مخاوف 03، ناهيك عن الألفاظ الأخرى كالرعب التي وردت في النص 10 مرات.

إن هذا الخوف هو خوف على حاضر الأمة على مستقبلها حين تستشري أوصال الظلم وتتفاقم رقع الاستبداد، للتحول اليوتوبيا في الأخير من يوتوبيا إلى ديستوبيا Dystopia . لأننا نريد أن نحيا بلا خوف في عالمنا هذا كما أطلقها الشاعر الرومانسي الانجليزي وليم وردزورث: « لا نريد أن نحيا في يوتوبيا، تلك المروج التي تقع تحت الأرض ، ولا على جزيرة سرية يعلم الله وحده أين تكون . بل في هذا العالم نفسه ، الذي هو عالمنا أجمعين هذا ا لمكان الذي نجد فيه سعادتنا في آخر المطاف ،أو لا نجد شيئا على الإطلاق».

سيد الخراب/ الصخب والعنف

سيد الخراب والصخب والعنف عالمان نضم كلا منهما عوالم متعددة ورموزا متوهجة مفتوحة على التأويلات والقراءات المختلفة وسأحاول أن أقف عند هذه العوالم المتعالقة المتقاطعة بينهما وأول ملاحظة يمكن تسجيلها ها هنا أن هذا التعالق الذي نسعى لإبرازه يتجلى أول ما يتجلى في شكل الروايتين قبل مضمونهما؛ وذلك أن كل من الروائيين انطلقا في نسج عوالمهما الروائية من خلال مقولة لكاتبين كبيرين كانت هذه المقولة بمثابة الذي فتح أفق الرواية وحدد معالمها فكمال قرور شيد صرح روايته على مقولة العلامة عبد الرحمان بن خلدون التي أوردها في كتابه المقدمة من الفصل الثالث من الكتاب الأول والمعنون ب: " في الدول والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال، وفيه قواعد ومتممات" تحت رقم 41 "**في أن الظلم مؤذن بخراب العمران**"13 ويمتد هذا الفصل من الصفحة 80 إلى الصفحة ، 85 وقد أورد الروائي الفصل كاملا في متن النص السردي14 . وقد صرح كمال قرور للصحافة بعد صدور روايته قائلا : «ربما تكون هذه هي الرواية التي كان سيكتبها ابن خلدون لو قرر أن يكتب رواية فالرواية مبنية على مقولة له من ان الظلم مؤذن بخراب العمران وهي مقولة تكاد تنطبق على أوضاع تاريخية مستمرة في الحياة العربية».

أما وليم فولكنر فقد شيد روايته على مقولة المسرحي والشاعر الانجليزي الكبير وليم شكسبير والمستقاة من مسرحيته مكبث والتي قول فيها على لسان مكبث نفسه بطل المسرحية في المشهد الخامس من الفصل الخامس :

Tomorrow, and tomorrow, and tomorrow

Creeps in this petty pace from day to day

To the last syllable of recorded time;

And all our yesterdays have lighted fools

The way to dusty death. Out, out, brief candle!(25)

Life's but a walking shadow, a poor player

That struts and frets his hour upon the stage

And then is heard no more. It is a tale

Told by an idiot, full of sound and fury,

Signifying nothing.

" غدا، وغدا، وغدا،

وكل غد يزحف بهذه الخطى الخطيرة بوما إثر يوم

حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب،

وإذا كل أماسينا قد أنارت للحمقى المساكين

الطريق إلى الموت والتراب, ألا انطفئي يا شمعة وجيزة

ما الحياة غلا ظل يمشي ، ممثل مسكين

يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح

ثم لا يسمعه احد : إنها حكاية

يحكيها معتوه، ملؤها الصخب والعنف

ولا تعني أي شيء." 15

من التناص التاريخي إلى التأريخ:

لم يقتصر كمال قرور في روايته سيد الخراب على توظيف الكثير من الرموز التاريخية بل تعدى ذلك إلى محاولة تسجيل التاريخ المعاصر للجزائر المعاصرة من خلال توثيق الكثير من الوقائع الحقيقية كما هي دون تغيير أو تشويه أو تدخل منه أو من إحدى شخصياته المحورية ، إنه يحاول رصد الأحداث والوقائع ثم تصويرها تصويرا فوتوغرافيا، فهو في ذلك يعتمد على تقنية الرحالة الذي يسجل مشاهداته المختلفة للبلدان التي يزورها أو تقنية المصور الفوتوغرافي الذي يمسح بعين كاميراته الواقع مسحا طوبوغرافيا؛ وهو بهذا يستجمع كما معرفيا ورصيدا معلوماتيا من شأنه أن يؤسس لذاكرة آتية؛ هي ذاكرة المستقبل. هذا التوثيق الذي يعيدنا مرة أخرى على تداخل الواقع بالخيال في هذه الرواية.

وإذا كانت الشخصية الروائية في مفهومها البسيط هي مفهوم تخييلي قد تتجسد حسب رولان بارت كائنات من روق لتتخذ أبعادا دلالية أخرى متنوعة من خلال اللغة، ولا تبتعد نظرة تودوروف كثيرا عن هذه النظرة فالشخصية الروائية بالنسبة غليه ليست سوى أمرا لسانيا. وفي عموم الأمر فالشخصية الروائية بحسب

الكثيرين من النقاد والدارسين ليس لها وجودا واقعيا إلا أن كمال قرور في روايته هذه كسر هذا المفهوم السطحي وأعطى شخصياته أبعادا واقعية بل أعطت الشخصيات الروائية للعمل الروائي بعدا واقعيا صرفا.

وتتعالق أحداث الرواية الخيالية بشخصياتها المتخيلة بأحداث الرواية الواقعية وشخصياتها الواقعية في شكل متواتر بين هذه وتلك لتنسج هذه الفسيفساء السردية الجميلة . ومن الشخصيات الواقعية في هذه الرواية نجد الشاعرة نوارة لحرش ؛ يقول كمال قرور: "سلمت القصة إلى نوارة لحرش سكرتيرة الجريدة التي كنت أصدرها يوم ذاك، وكانت سكرتيرة مثقفة وذكية تكتب الشعر ومن حين على حين تساهم في بعض أركان الجريدة". 16 فنوارة لحرش شخصية واقعية؛ شاعرة متميزة، ترجم لها الدكتور يوسف وغليسي في كتابه: " خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه وعنون صفحتها بـ : شاعرة المواسم الشتوية (شاعرة حقيقية جدا) يقول الدكتور يوسف : نوارة لحرش تحيا على قارعة اللغة أنثى شاهقة الحزن، شامخة البهاء الشعري..... لقد ورطها الشعر... غازلها .. داعبها فاستسلمت واستكانت وتعودت .. وصارت سفيرته"17

وفي مكان آخر تعود نوارة "بعد عشر سنوات عرفتني نوارة على صديقتها فاتنة الشاعرة الفلسطينية.لما قرأت علينا قصيدتها حالات،انتابتني حالات شتى لم أستطع القبض على تفاصيلها. نسيت الموضوع أو حاولت نسيانه" 18 توارة لحرش التي تعرف المؤلف بشخصية اخرى ذات وجود فعلي هي فاتنة الغرة والتي الشاعرة فلسطينية التي كانت قد زارت الجزائر سنة 2000 وشاركت بمهرجان الشعر النسوي بقسنطينة ثم دعوتها شخصيا لحضور مهرجان الشاطئ الشعري بالقل والذي حضرته أيضا . وقد وظف الروائي قصيدة فاتنة حالات كرسالة من نطفة بنت السيد المهدي الاخجاني إلى سيدنا حاكم الجمهورية.

من الشخصيات الواقعية أيضا الشاعر الجزائري عاشور فني19 صاحب ديوان زهرة الدنيا جاء في المتن: في نهاية سنة 2009 أرسلت الرواية إلى الصديق الشاعر عاشور فني بعد أن ناقش رسالة الدكتوراه.20 وقامت هذه الشخصية بدور مهم في الرواية فقد جاء على لسانها فصل كامل من الرواية والمعنون ب "فصل في نكبة ابن خشد" يقول الكاتب :أحبتي اتصلت بالدكتور عاشور فني بمكتبه.حاولت أن استفسره أكثر عن الفيلسوف ابن خشد الذي لم نقرأ سيرته أو كتبه في المقرر المدرسي.فقال: هذا فيلسوف ضحية أفكاره.كان ابن خشد رحمه الله وطيب.... "21 إلى آخر الفصل . وغيرها من الشخصيات الحقيقية كالخير شوار ؛ قال لي الخير شوار وهو أديب وصحفي بالجزائر نيوز ومعد الملحق الأدبي بجريدة اليوم وكان يشتغل معنا في الجريدة المتوقفة : أنت في الطريق الصحيح.22 إضافة على ذكر بعض الأسماء الأدبية والتي لم يكن لها دور فعال في الرواية كالروائي المرحوم الطاهر وطار والشاعرين عبد الله حمادي وناصر معماش والروائية أحلام مستغانمي .

تحت ظلال ألف ليلة وليلة

من التناصات التي يمكن إدراجها ضمن التناصات التراثية والتي تتجلى بشكل ملفت للانتباه سواء على الصعيد الفني أو على الصعيد الموضوعاتي نجد أن رواية سيد الخراب قد تضمخت بعطر ألف ليلة وليلة

وتخضبت بحنائها، فمن حيث تقنيات الحكي نلاحظ أن الهيكل التنظيمي لألف ليلة وليلة كان يعتمد على التعدد الحكائي، إذ لجأ القاص الشعبي إلى جمع مجموعة كبيرة من الحكايات في حكاية واحدة كانت بمثابة الوعاء الحامل لكل هذه المرويات .. وهكذا توالدت كما يقول داود سلمان الشويلي بين يديه ومن خلال الحكاية التي افتتح بها لياليه –مجموعة من الحكايات الأخرى التي قامت هي الأخرى بتوليد حكاية ثانية. بدأ الفن القصصي- أو الفن الحكائي- في((ألف ليلة وليلة)) بحكاية واحدة هي حكاية ((الملك شهريار)) الذي حكم على نصف المجتمع (النساء) بالموت بسبب خيانة زوجته له مع أحد عبيده، كما هو الحال مع أخيه الملك ((شاه زمان)) الذي وجد هو الآخر زوجته تخونه مع أحد عبيده.. وهكذا كان قراره بقتل كل امرأة بعد الدخول بها.. حتى جاء الدور لابنة وزيره، فما كان منها إلا أن تحتال عليه- هي الأخرى- بحيلة تجعله يؤجل تنفيذ حكمه بها إلى الليلة المقبلة.23

هذا التوالد نجده في سيد الخراب من خلال تلك الحكايات التي فصل بينها الروائي بفصول واسماها كذلك ؛ فصل في رواية ما جرى، فصل في أن سيدنا حكم الجمهورية وهو في بطن أمه ، فصل في حكاية الزبنطوط وما جرى له مع النساء العاهرات، فصل في أخبار السيد المهدي الإخجاني وغيرها من الفصول التي تتماهي في نهاية الأمر لتشكل حكاية جمهورية الخراب كما تماهت حكاية الحمال والبنات و حكاية نور الدين... التي يرويها البرمكي للخليفة وحكاية الصبية المقتولة، وحكاية الخياط والأحدب واليهودي والنصراني وحكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان، وحكاية الملك النعمان وابنه شركان وغيرها من الحكايات الإطار والحكايات التضمينية24 ليشكل هذا الزخم الملحمة الحكائية لألف ليلة وليلة

ثم يأتي ذلك التقاطع بين شخصيات ألف ليلة وليلة وشخصيات سيد الخراب ولعل شخصيتا الحكاية الذريعة كما يسميها ايمانوال كوكان Emmanuel Coquin شهريار وشهرزاد أكثر هذه الشخصيات ملامسة لعوالم سيد الخراب فسيدنا السلطان ما هو إلا شهريار و نطفة بنت الشيخ الاخجاني ما إلا شهرزاد؛ بما تحمله كل شخصية من ملامح ومن أبعاد؛ فشهريار بعد الذي حدث له من خيانة زوجته قرر الانتقام من كل النساء، كما أشار إلى ذلك برونو بتلهايم بقوله : اعتزم الملك شهريار، عندما فقد كل ثقة في الإنسانية جمعاء أن لا يعطي فرصة لامرأة أخرى لكي تخدعه، وبان ينغمس في طلب اللذة . منذ اليوم سوف يطأ كل ليلة عذراء، ويقتلها في الصباح.25 أما سيدنا فكان الملوك والأباطرة والزعماء والسلاطين يعرفون مدى ولعه وكلفه بالنساء الجميلات الساحرات الفاتنات الشبقيات. وتأكدوا بعد أن أصدر قراره الجمهوري الشجاع بإنشاء أول وزارة في تاريخ الدول والأمم السابقة واللاحقة، سماها "وزارة اللذة" تشرف فقط على تدبير شؤون راحته وملذاته الشخصية، ثم أصدر قرارا ثانيا يجبر فيه شعبه اللعين أن يصرح بكل فتاة تولد على تراب الجمهورية، وأن يلحق كل فتاة تبلغ سن النضج وتبدو عليها علامات الجمال والفطنة إلى "وزارة اللذة" لتلحقها بجناح الحريم الجمهوري ليدخل عليها سيدنا في ليلة من لياليه السعيدة الميمونة.26 وقد أشار إلى هذا التناص بين ألف ليلة وليلة الكاتب والإعلامي الخير شوار في معرض حديثه عن هذه الرواية، الخير شوار هذا هو أيضا أحد شخصيات هذه الرواية والذي سنتطرق إلى توظيفه كشخصية مفصلية في المتن السردي لاحقا . يقول شوار:" إنها جمهورية العبث أو "جمهورية

الخراب" كما سمّاها كمال قرور ونسبها إلى من يسميه "ابن خشد" الذي لم يكن في الحقيقة إلا نسجا من خياله. وتبدو الشخصية المحورية في "المتن" المتمثلة في السلطان المسمى "سيدنا" لا يختلف في جوهره عن أي طاغية حاكم بأمره في التاريخ والجغرافيا، بل ويشبه كثيرا شخصية شهريار المعروف في "حكاية حكايات" "ألف ليلة وليلة" والمتخصص في نكح النساء، وجاءت نهايتهما متشابهة، فشهريار انتهى شره بانتهاء حكايا شهرزاد وأكتشف أنه قضى معها حوالي أربع سنوات ورزق منها بنين وبنات أما سيدنا، فقد انتهى شره وجبروته على يد الحسناء نطفة التي تقضي على جبروت سينا بأنوثتها الطافحة ويتحول معها إلى قط وتتحول نطفة بدورها إلى يمامة ويحل الخراب بجمهورية الخراب."27

إن رواية سيد الخراب نص سردي طافح بالرموز والتصحيفات غامر بالتدلالات والنصوص المولدة عامر بالامتصاصات والاختراقات وهو نص بعيد كل البعد على أن يكون نصا مغلقا كما أشار إلى ذلك الشكلانيون الجماليون . والرواية تحتاج إلى وقفة أطول وقراءات أخرى واعية ومتأنية

الإحالات والهوامش

[1] Maurice de La Croix et Fernand Hllym-methodes du texte. Introduction au études littéraires, ed. Culot, Paris, 1997, p 115

[2] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص و السياق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، سنة 2001، ص. 93

[3] Larousse illustré, Ed. Larousse, Paris, 2008, p. 547.

[4] بارت، (من الأثر الأدبي إلى النص(، ت.عبد السلام بنعبد العالي، مقال من مجلة الفكر العربي المعاصر، ع28، آذار 1989، بيروت، ص115

[5] بارت، (نظرية النص)، ت.محمد خير البقاعي، مقال في مجلة العرب والفكر العالمي، ع3، صيف 1988، بيروت.

6 عبد الله إبراهيم: "التمثيل السردي للتاريخ في الرواية العربية" مجلة علامات في النقد، العدد 56، يونيو 2005، ص 08

[7] حميد لحمداني- "عتبات النَّص الأدبي (بحث نظري)"- مجلَّة علامات في النقد- النادي الأدبي بجدَّة- مج12-ع46- 1423هـ ،ص8

[8] توماس مور:: يوتوبيا، ترجمة إنجيل بولس سمعان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط2 1987. ص11

[9] Merriam-Webster: glib and glibmm libraries, 2011

[10] ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة : د .عطيات أبو السعود، عالم المعرف، الكويت، 1993. ص7

[11] للاستزادة حول الموضوع انظر كتاب : ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة : د .عطيات أبو السعود، عالم المعرف، الكويت، 1993

[12] وسكار فينغال أو.فلاهيرتي ويلز وايلد)بالإنجليزية((Oscar Fingal O'Flahertie Wills Wilde :من 16أكتوبر 30 - 1854 نوفمبر 1900)مؤلف مسرحي وروائي وشاعر أنجلو-إيرلندي.

[13] عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ج2، المركز الوطني في للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر،2006 ص 80

[14] اورد الروائي فصل ابن خلدون كاملا في متن الرواية في الصفخات 10، 11 و12

[15] انظر وليم شكسبير: مكبث ، نرجمه خليل مطران، دار المعارف ط8

[16] الرواية ص 18

[17] د. يوسف وغليسي: خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي، قسنطينه، 2008 ص 364

[18] الرواية ص19

[19] شاعر عربي من الجزائر يعمل أستاذا بجامعة الجزائر، نشر أعمالا شعرية إبداعا وترجمة وشارك في العديد من المهرجانات الشعرية العربية والدولية. له مسار ثقافي وإبداعي متميز. فهو مختص في الاقتصاد، يقدم استشارات في تخصصه للمؤسسات والهيئات الوطنية والدولية ويشارك بفعالية في الحياة الثقافية والأدبية.نشر المجموعات الشعرية التالية باللغة العربية: هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي، نصوص هايكو الجزائر 2007، الربيع الذي جاء قبل الأوان، عن اتحاد الكتاب الجزائريين،2004، رجل من غبار، رابطة الاختلاف، الجزائر،2003، زهرة الدنيا، دار الفارابي، الجزائر،1994،

[20] الرواية ص 27

[21] الرواية ص 39

[22] الرواية ص 23

[23] داود سلمان الشويلي: ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،2000. ص 8

[24] قسم الباحث داود سلمان الشويلي:في كتابه ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية حكايات ألف ليلة وليلة على اربعة انواع هي : *حكاية المفتتح، حكايات الإطار، حكايات تضمينية، و حكايات خارج السياق. انظر* داود سلمان الشويلي:وسحر السردية العربية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،2000. ص *12*

[25] عيد الحميد بورايو: الكشف عن المعنى في النص السردي، دالا السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

[26] الرواية. ص 85

[27] الخير شوار: رواية "سيد الخراب" للجزائري كمال قرور الفانتازيا الواقعية، مجلة أدب وفن الالكترونية www.adabfan.com